آتٍ إلى فاس*

أتيتُ أنهلُ من عرفانكِ الأدبا ... ألستِ يا فاس أمّاً للنُّهى، وأبا!

بلى، وألفُ بلى يا فاسُ أنتِ هما ... وأنتِ! سبحان من أصفى، ومن وهبا

أخلصتِ للعلم دهراً كنتِ درّتَه ... حار الأنامُ أشمساً كنتِ، أم سُحُبا!

كلاهما كنتِ..شمساً للهدى سطعت ... وللأنام فؤاداً حانياً حَدِبا

ما فرقت أبداً يمناك واهبةً ... فمن نأى نال منها مثل من قربا

شاب الزمانُ ونعمى منكِ باقيةٌ ... على الزمان أبت أن تنقضي، وأبى

يمناكِ أملت على الدنيا حضارتها ... وشال رأسُ العلى تيهاً بما كُتبا

حملتِ للغربِ ما أرضى سريرته ... ويشهد الغربُ كم نوّرته حِقبا

رايات فتحك باقٍ فيضُ رحمتها ... مهما أثار حقودٌ حولها ريبا

جديدةٌ أنت عبر الدهر شامخةٌ ... تزداد عزّاً بشعبٍ راضَ ما صعبا

يحمي بكلِّ اقتدارٍ عِزَّ نهضته ... فحيثما سرت تلقَ الجنَّةَ العجبا

❖❖❖

يا فاس عفوك من أين الطريقُ إلى ... رضاك عني .. ولم أملكْ له سببا!

بلى ملكتُ له قلباً يذوب جوىً ... ما مرَّ ذكرُكِ إلاّ خِلتُه وثبا

وكنتُ أنكره قلباً إذا عبرت ... ذكراك يوماً ولم يرقصْ لها طربا

---

* ألقيت في مدينة فاس في المهرجان الشعري الأول بتاريخ ١٩٩٨/١٠/٢٨.

آتٍ إليك شآميَّ الوفاء، وما ... عرفتُكِ الدهرَ إلا منزلاً رحُبا

آتٍ إليك يمينَ الله ما نظرت ... عيناي إلا رأيت الشامَ، أو حلبا

في كلِّ وجهٍ هنا شاهدتُ وجهَ أبي ... وكلُّ وجهٍ هنا قلبي إليه صبا

ألستِ يا فاس أختَ الشام ضمكما ... على الجهاد إباءٌ ما سواه إبا!

دماءُ جندك طوعاً عندنا انسكبت ... تفدي ثرانا، وما أغلى الذي انسكبا!

فما رأوْا دمَ مَنْ للبذلِ قد سبقوا ... إلاّ وقالوا : هنيئاً للذي شربا

ماضون للنصر، أوْ لله في عجلٍ ... هيهات تلقى بهم من حاد واضطربا

سِرٌّ من «اقرأ» عليه الله وحَّدنا ... جلَّ اسمهُ ..وعليه وحَّد الكتبا

فلا انفصام لِما الرحمن وثّقه ... ويذكر الدهر كم نلنا به غَلَبا

فما اشتكى مؤمنٌ من محنةٍ عرضت ... إلا وكانت إلى توحيدنا سببا

هَمُّ الأشقاء هَمٌّ واحدٌ فإذا ... ما ناح شرقٌ رأيتَ المغربَ انتحبا

فلا يُسَرَّ أخو حقدٍ بفرقتنا ... غداً ترى أمّتي طوداً قد انتصبا

فما لريحٍ بطودٍ شامخٍ أثرٌ ... إلاّ العواءُ علا في ساعةٍ، وخبا

❖❖❖

يا فاس عفوك من أين الطريقُ إلى ... رضاك عن متعبٍ لايشتكي التعبا

أنا الذي اخترت دربي راضياً، وأنا ... رأيتُ مرَّ عذابي فيه قد عَذُبا❖

فلا تَرُعْك جراحاتي، وكثرتُها ... فخلفها ألفُ جرحٍ يقذفُ اللهبا

❖ هذه الأبيات وما بعدها ١٢ بيتاً استعرتها من قصيدتي «يا صبح يا صيح».

حسبي وحسبكِ أنّي حاملٌ أبداً ... همَّ الذين تناسوْا كلَّ ما وجبا
القدسُ ضاعت، وضاعت قبلها قيمٌ ... فألفُ قدسٍ بقلبي تشتكي السَّلبا
ماذا أحدِّث عنها آهِ من زمنٍ ... عشناه جوعاً، وأُمطرنا به نُوَبَا
تبدّلت قيم الإنسان وانقلبت ... فكلُّ أمرٍ تراه اليوم منقلبا
لم يبق من أمّتي شيءٌ يميّزها ... أوّاه منّا كأنّا لم نكن عربا
يا فاس مسجدنا الأقصى ينوح ولا ... يلقى النصير، فهل قومي غدوْا لعبا!
ولم يَنُحْ ساعةً لولا تشعُّبنا ... واحسرتاه لشعبٍ ذلَّ وانشعبا!
يافاس عفوك ما شكوايَ من جزعٍ ... لو أن مابيَ مسَّ الصخر لانعطبا
همومُ قومي مذيباتٌ، وأخطرها ... ألاّ ترى شاكيا منها، ومنتحبا
يا فاس عفوك إني ما يئست ولا ... شككت يوماً بأن النصر قد قربا
لكنه الخوف من طول الرقاد، فهل ... ألقى النفير يصحّي من غفا، وكبا!
يا فاس إني أنا صوت النفير ولا ... سلمتُ يوماً إذا أهملتُ ما وجبا

❖❖❖

يا فاس عفوك من أين الطريق إلى ... رضاك عني، وقلبي للقاء صبا!
أليس حسبك يا أمَّ الألى ذهبوا ... بالمكرمات فؤادٌ إثرَهم ذهبا!
حبُّ الهداةِ التقاةِ الصّيد لي نسبٌ ... أكرمْ بحبِ رجالات الهدى نسبا!
هم الرجاء إذا عزَّ الرجاءُ، وهم ... وهل رأيتَ سواهم في الدجى شهبا!
توارثوا كابراً عن كابر قيماً ... كانوا الأحق بها أن يملكوا الحقبا

عاشوا الحياة جهاداً دون معتقدِ ... ألدُّ أعدائهم نالوا به الأربا

عهداً سنبقى كما كانوا شموس هدى ... نهدي الانام، ولا نُبقي به ريَبا

فالكون من بعدنا يا فاس مضطربٌ ... إن لم نَعُدْ فسيبقى الكونُ مضطربا

حضارة الغرب ـ والطاغوت يحكمها ـ ... قد أنهكت في الأنام الروحَ والعصبا

فمهجة الكون تشكو اليوم من رهقٍ ... والجسم يا فاس أمسى هيكلاً خربا

وما سوانا له يا فاس من أملٍ ... في أن نعيد له الأمنَ الذي صُلبا

نحنُ الأبرُّ به، نحن الهداة له ... ألم يكن عدلنا أمّاً له وأبا!

إن يحجب الغيمُ وجه الشمس آونةً ... لسوف تُشرق مهما وجهها احتجبا

❖❖❖

يا فاس ألهب حبُّ القوم قافيتي ... والحب يا فاس يلغي اللوم والعتبا

فلا تلومي محبّاً خانه جلدٌ ... لما رأى قومه يا فاس كفَّ سبا

حزني على الأمس، خوفي من غدي اجتمعا

فما قدَرتُ على أن ألجم اللهبا*

أكاد يا فاس أقضي لوعة، وأسىً ... أما غدا الجيل للأوهام منجذبا!

تهيأت كلُّ أسباب الضياع له ... ولم نهيءْ لِما يجدي ولو سببا*

وليس ينفع شعباً جيلُه خربٌ ... أن يملك الأرض، أو أن يغزوَ الشهبا*

❖❖❖

* هذه الأبيات أيضاً من قصيد «يا صبح يا صبح».

يا فاس، يا فاس لو أن المنى جمعت ... وكان للقلب أن يختار ما رغبا

لكان كل رجائي أن يجيء غدٌ ... ولا يُرى مسلم في الأرض مكتئبا

يا فاس تلك على الرحمن أمنيتي ... أحيا لها، وأرى ميعادها اقتربا

وهبتُها ـ وشهيدٌ ربُّنا ـ عُمري ... هيهات لولا أساها أشتكي النصبا

لا لم يغبْ رسمُها عن مقلتي أبداً ... وسوف أحيا لها ما عشت مرتقبا

«إن تنصروا الله ينصركم» يؤكدها ... ربُّ الأنام ولن يلغى الذي كتبا

❖❖❖

أتيت يا فاس شاميَّ الحنين وما ... كنت الذي غش فيما قال أو كذبا

أخلصتُ للقوم نصحاً لا أريد به ... إلا الذي بعد خلفٍ يجمع العربا

كل الطواغيت في الدنيا قد اتحدت ... وشملُنا وحدَه مازال منشعبا

إن كان من سببٍ واهٍ لفرقتنا ... فألف دعوة حق تبطل السببا

لابدَّ من وحدة يافاس تجمعنا ... على الجهاد ... وإلاّ فالمصير هبا

فغاصبُ القدس قوّاه تفرُّقنا ... لو اتحدنا لولّى رهبةً هربا

يا فاس كنت وكانت شامُنا زمناً ... داريْ جهادٍ ... فهل عودٌ لما انقضبا

❖❖❖

أنا من الشام يا فاس العلى غردٌ ... وافى لينشدك الشعر الذي عذبا

لكنْ همومُ بني قومي تؤرقني ... فلتعذريني إذا لم أحسن الأدبا